المكتبة الخضراء للأطفال

١٠

يقلم: عادل الغضبان

الطبعة الخامسة عشرة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج.م.ع.

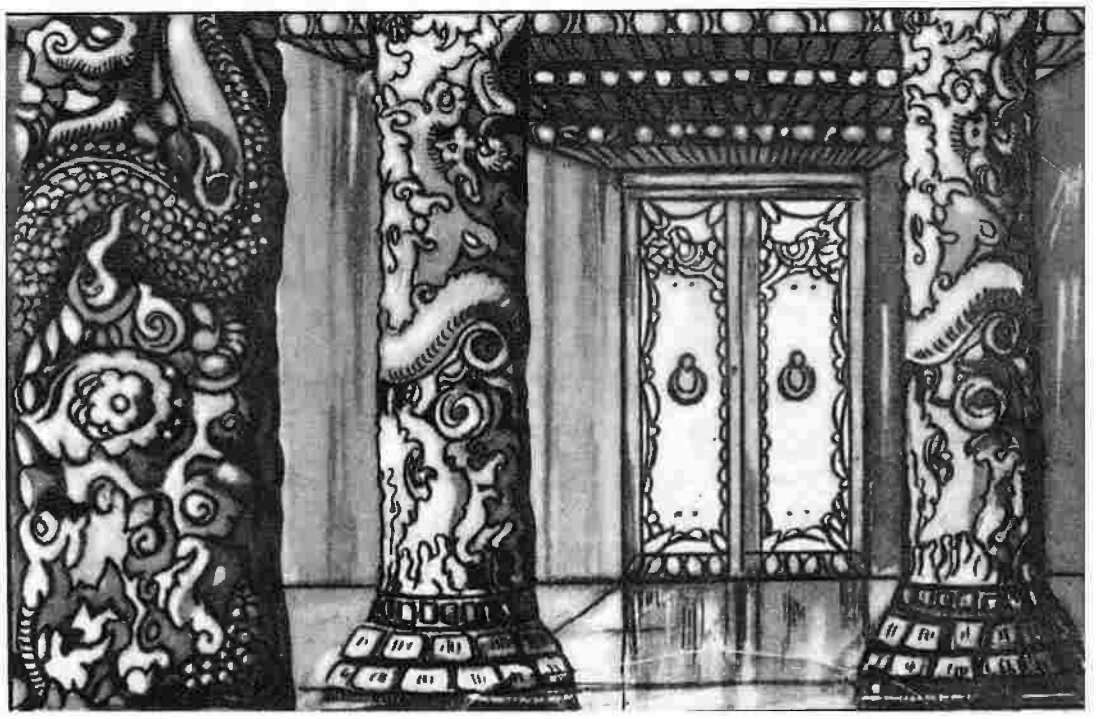

حَكَمَ بِلاَد الصِّينِ فِى قَدِيمِ الزَّمان مَلِك كَرِيمُ الْأَخْلاَقِ ، طَيِّبُ الْقَلْبِ ، وَاسِعُ الْغِنَى .

وَ كَانَ لِهذَا الْمَلِكِ قَصْرٌ يُعَدُّ أَجْمَلَ الْقُصُورِ فِى الْعَالَمِ ، فَقَدْ بُنِيَتْ أَرْضُهُ وَ سُقُوفُهُ مِنَ الْبِلَّوْرِ الشَّفَّافِ، وَ شُيِّدَتْ حِيطَانُهُ مِنَ الْخَزَفِ الصِينىِّ الْفَاخِرِ ، وَ صُنِعَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ سَبَائِكِ الذَّهَبِ الْخَالِصِ.

وَكَانَ لِذلِكَ الْقَصرِ ، حَدِيقَةٌ وَاسِعةٌ جِدًّا ، لاَ يُدْرِكُ الْبَصَرُ آخِرَهَا، وَ لاَ يَعْرِفُ الْبُسْتَانِيُّونَ أَنْفُسُهُمْ أَيْنَ تَنْتَهِى، وَ كَانَتْ هِيَ أَيْضاً تُعَدُّ أَجْمَلَ حَدَائِقِ الدُّنْيَا ، وَ أَبْدَعَهَا تَنْسِقاً ، وَأَغْنَاهَا بِالْأَزْهَارِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَصْنَافِ وَالْأَلْوَانِ.

وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَدِيقَةُ مُزْدَانَةً كَذلِكَ بِبُحَيْرَاتٍ جَمِيلَةٍ ، يُشْبِهُ لَوْنُهَا الْأَزْرَقُ لَوْنَ الْفَيْرُوزِ ، وَ تَمتَدُّ وَرَاءَهَا غَابَاتٌ كَثِفَةٌ، تُفْضِى إِلَى بَحْرٍ هَادِئٍ عَمِيقٍ ، تَسْتَطِيعُ السُّفُنُ أَنْ تَصِلَ فِيهِ إِلَى الشَّاطِئِ ، و تَسِيرَ تَحْتَ أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ الْمُمْتَدَّةِ فَوْقَ .

وَ كَانَ هُنَاكَ بُلْبُلٌ ، قَدِ اتَّخَذَ مِنْ بَعْضِ الْأَغْصَانِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الشَّاطِئِ، عُشّاً لَهُ يُغَنِّى فِيهِ وَيُغَرِّدُ تَغْرِيداً سَاحِراً يَهُزُّ الْقُلُوبَ ، حَتَّى إِنَّ الصَّيَّادَ الْفَقِيرَ

الْمِسْكِينَ ، الْمُحْتَاجَ إِلَى كَسْبِ قُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ مِنْ صَيْدِ السَّمَكِ ، كَانَ إِذَا سَمِعَهُ شُغِلَ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ عَنْ طَرْحِ شَبَكَتِهِ فِى الْمَاءِ ، وَ قَالَ فِى نَفْسِهِ :

– « مَا أَجْمَلَ صَوْتَ هذَا الْبُلْبُلِ ، وَ مَا أَحْلَى غِنَاءَهُ ! »

وَ اشْتَهَرَ أَمْرُ هذَا الْقَصْرِ وَهذِهِ الْحَدِيقَةِ فِى جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ ، وَأَقْبَلَ السُّيَّاحُ إِلَى عَاصِمَةِ مَمْلَكَةِ الصِّينِ ، لِيُشَاهِدُوا

ذلِكَ الْبِنَاءَ الْجَمِيلَ الْعَجِيبَ ، وَيَتَأَمَّلُوا تِلْكَ الْحَدِيقَةَ الْفَاتِنَةَ المنقطعة النظير ، وَلكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا غِنَاءَ الْبُلْبُلِ ، تَحَوَّلَ إِعْجَابُهُمْ إِلَى ذلِكَ الصَّوْتِ السَّاحِرِ ، وَ صَاحُوا قَائِلِينَ:

– « إِنَّ صَوْتَ هذَا الْبُلْبُلِ أَجْمَلُ شَيءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، فَمَا أَحْلَى غِنَاءَهُ وَتَغْرِيدَهُ ! »

وَكَانَ هؤُلَاءِ السُيَّاح ، إِذَا رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، حَدَّثُوا إِخْوَانَهُمْ بِمَا رَأَوْا وَ سَمِعُوا مِنَ الْعَجَائِبِ وَ الْغَرَائِبِ.

ثُمَّ أَخَذَ الْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ وَ الشُّعَرَاءُ ، يُؤَلِّفُونَ الْكُتُبَ وَ يَنْظِمُونَ الْقَصَائِدَ فِى وَصْفِ عَاصِمَةِ مَمْلَكَةِ الصِّينِ ، وَقَصْرِهَا الْبَدِيعِ الْعَجِيبِ ، وَ الْحَدِيقَةِ الْمُدْهِشَةِ الَّتِى

تُحِيطُ بِالْقَصرِ ، وَ كَانُوا يَخُصُّونَ ذلِكَ الْبُلْبُلَ بِأَعْظَمِ جَانِبٍ مِنَ الْمَدِيحِ وَ الثَّنَاءِ وَالْوَصْفِ الْجَمِيلِ.

وَ سَارَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ وَ الْقَصَائِدُ حَوْلَ الْعَالَمِ ، وَانْتَشَرَتْ فِى كُلِّ مَدِينَةٍ وَ قَرْيَةٍ مِنْ مُدُنِ الْأَرْضِ وَقُرَاهَا ، حَتَّى وَصَلَ بَعْضُهَا إِلَى يَدِ مَلِكِ الصِّينِ.

فَجَلَسَ يَوْماً عَلَى مَقْعَدِهِ الْمُذَهَّبِ ، وَ انْدَفَعَ يَقْرَأُ ، وَهُوَ يَهُزُّ رَأْسَهُ سُرُوراً ، فَلَمَّا وَصَلَ فِى قِرَاءَتِهِ إِلَى وَصْفِ الْبُلْبُلِ ، قَرَأَ الْجُمْلَةَ الْآتِيَةَ : « أَمَّا الْبُلْبُلُ الَّذِى يُغَنِّى عَلَى أَغْصَانِ الشَّجَرِ فِى تِلْكَ الْغَابَةِ الْفَرِيدَةِ، فَإِنَّهُ أَجْمَلُ مَا فِى الْقَصْرِ وَالْحَدِيقَةِ . »

فَتَساءَلَ الْمَلِكُ قَائِلاً : « مَا شَأْنُ هذَا الْبُلْبُلِ ؟ وَ عَنْ أَىِّ بُلْبُلٍ يَتَحَدَّثُونَ ؟ إِنِّى لَمْ أَسْمَعْ بِهذَا الْبُلْبُلِ وَ لاَ رَأَيْتُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ فِى مَمْلَكَتِى ، بَلْ فِى حَدِيقَةِ قَصْرِى ، بُلْبُلٌ عَلَى مِثْلِ

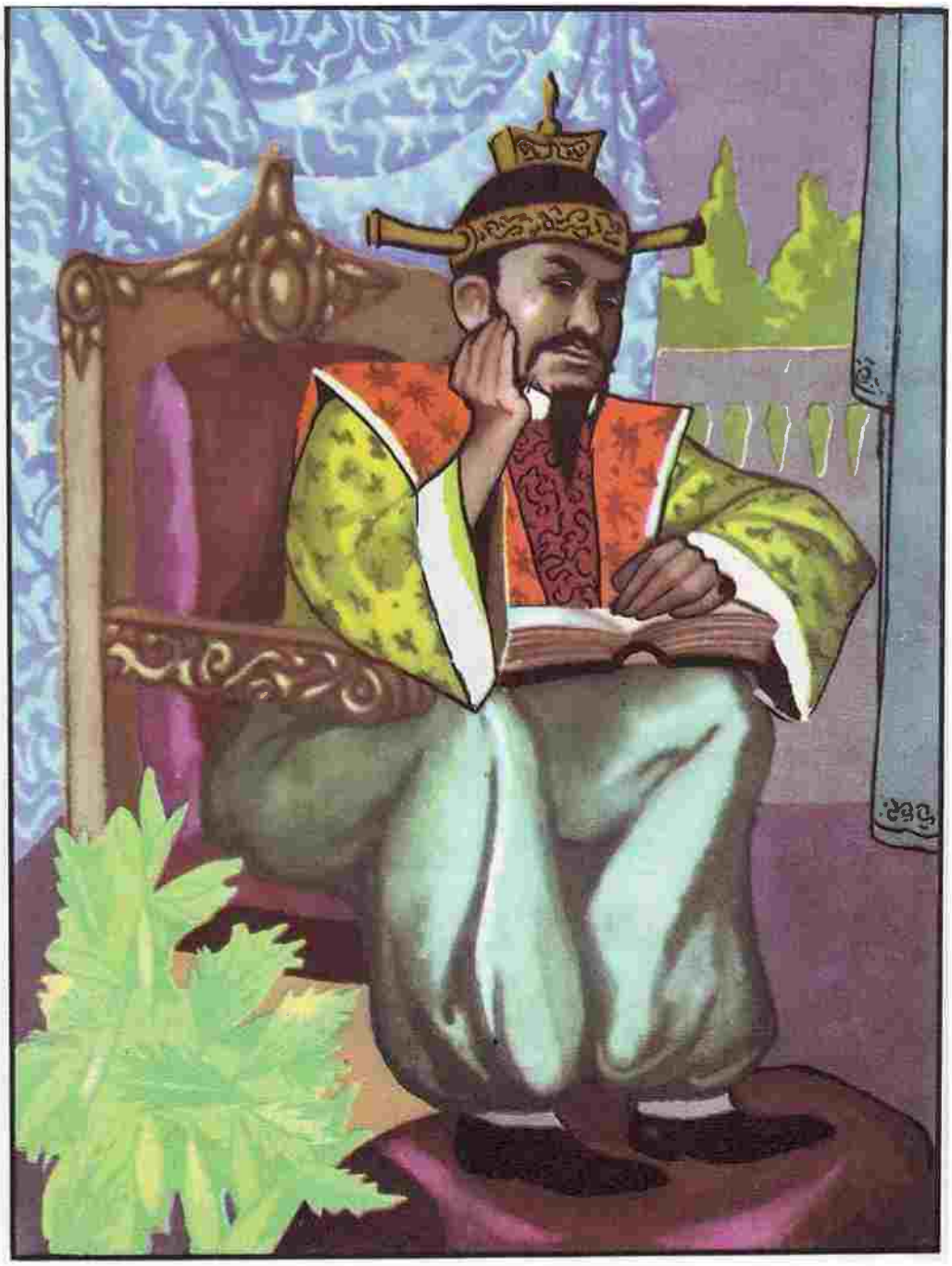

هذَا الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ، وَلاَ أَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئاً؟ حَقّاً إِنَّ الْكُتُبَ هِيَ الَّتِي تُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ وَتُطْلِعُهُ عَلَى كُلِّ مَا يَجْهَلُ ! ».

فَاسْتَدْعَى إِلَيْهِ فِي الْحَالِ كَبِيرَ الْأُمَنَاءِ ، وَقَالَ لَهُ :

– « عَلِمْتُ أَنَّ هُنَاكَ عُصْفُوراً فَرِيدَ الْمَحَاسِنِ يُسَمُّونَهُ الْبُلْبُلَ، وأَنَّهُ أَجْمَلُ شَيءٍ فِي حَدِيقَتِي الْوَاسِعَةِ ، فلِمَاذَا لَمْ يُحَدِّثُونِي عَنْهُ قَبْلَ الْيَوْم ؟ »

فَقَالَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ :

– « لَمْ نَسْمَعْ بِهِ يَا مَوْلاَيَ ، وَ لاَ قَرَأْنَا أسْمَهُ فِي سِجِلِّ التَّشْرِيفَاتِ ، وَلاَ قَدَّمَهُ أَحَدٌ إِلَى بَلاَطِ جَلاَلَتِكَ يَا مَوْلاَيَ .»

فَقَالَ الْمَلِكُ :

– « أُرِيدُ أَنْ يَحْضُرَ اللَّيْلَةَ إِلَى الْقَصْرِ ، وَ أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ غِنَائِهِ ... إِنَّ الْعَالَمَ أَجْمَعَ يَعْرِفُ أَنِّي أَمْتَلِكُ هذَا الْبُلْبُلَ فَكَيْفَ أَكُونُ أَنَا الْوَحِيدَ الَّذِي يَجْهَلُهُ ، وَلاَ يَعْرِفُ مِنْ

أَمْرِهِ شَيْئاً ؟ »

فَقَالَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ :

– « سَأَتَحَرَّى عَنْهُ وَأَعْثُرُ عَلَيْهِ وَأُوَافِيكَ يَا مَوْلاَىَ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ . »

وَسْتَأْذَنَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ فِى الاِنْصِرَافِ ، وَمَضَى يَبْحَثُ عَنْ ذَلِكَ الْبُلْبُلِ . فَبَدَأَ يَطُوفُ بِأَرْوِقَةِ الْقَصرِ وَغُرَفِهِ ، وَيَصْعَدُ فِى كُلِّ دَرَجٍ وَيَنْزِلُ مِنْهُ ، وَيَسْأَلُ عَنِ الْبُلْبُلِ كُلَّ مَنْ رَآهُم فِى طَرِيقِهِ ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَكَانِ ذَلِكَ الْبُلْبُلِ ، فَعَادَ إِلَى الْمَلِكِ ، وَقَالَ لَهُ :

– « مَوْلاَىَ ! لا تُصَدِّقْ كُلَّ مَا تَقْرَأُ عَنْ هذِهِ الْقِصَّةِ ... إِنَّهَا وَهْمٌ وَ خَيَالٌ ، بَلْ إِنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ الْحَرَامِ ... »

فَقَالَ الْمَلِكُ :

– « إِنَّ الْكِتَابَ الَّذِى قَرَأْتُ فِيهِ حِكَايَةَ هذَا الْبُلْبُلِ ، قَدْ أَرْسَلَهُ إِلَىَّ مَلِكُ الْيَابَانِ الْعَظِيمُ، وَلاَّ يُمْكِنُ أَنْ يَحْتَوِيَ هذَا الْكِتَابُ عَلَى الْأَكَاذِيبِ .. ، إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ هذَا الْبُلْبُلِ ، وَلاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَا فِى هذِهِ اللَّيْلَةِ ... فَإِنْ حَضَرَ أَكْرَمْتُهُ وَغَمَرْتُهُ بِالْهَدَايَا ، وَإِذَا لَمْ يَحْضُرْ فَسَوْفَ أَدُوسُ بِقَدَمِى بَعْدَ الْعَشَاءِ بَطْنَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِ حَاشِيَتِى... »

فَاضْطَرَبَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ وَقَالَ :

– « سَمْعَاً وَطَاعَةً يَا مَوْلاَىَ . »

وَجَرَى كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ يَطُوفُ ثَانِيَةً بِأَرْوِقَةِ الْقَصْرِ وَ غُرَفِهِ، وَيَصْعَدُ السَّلاَلِمَ وَيَنْزِلُ مِنْهَا، وَجَرَى مَعَهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ رِجَالِ

الْحَاشِيَةِ ، وَكُلُّهُمْ خَائِفٌ مِنْ أَنْ تُدَاسَ بَطْنُهُ بَعْدَ الْعَشَاءِ.

وَ فِيمَا ذَلِكَ الْجُمْهُورُ يَرْكُضُ ، مَرَّ بِعَامِلَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْعَامِلاَتِ فِي مَطْبَخِ الْقَصْرِ ، فَسَأَلَهَا كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ سُؤَالَ الْيَائِسِ عَمَّا تَعْرِفُ مِنْ أَمْرِ الْبُلْبُلِ فَقَالَتِ الْفَتَاةُ :

– « إِنِّي أَعْرِفُ الْبُلْبُلَ كُلَّ الْمَعْرِفَةِ ... حَقًّا يَا سَيِّدِي إِنَّهُ

بُلْبُلٌ مُدْهِشٌ لاَ يُحَكِيهِ فِي جَمَالِ الصَّوْتِ أَيُّ طَائِرٍ آخَرَ ...

وَاعْلَمْ يَا سَيِّدِى أَنّى فِى كُلِّ مَسَاءٍ أَتْرُكُ الْقَصْرَ حَامِلَةً إِلَى أُمِّى بَعْضَ فَضَلاَتِ الطَّعَامِ، فَعِنْدَمَا أَعُودُ رَاجِعَةً إِلَى الْقَصْرِ أَتَوَقَّفُ قَلِيلاً عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْجَارِ فِى الْغَابَةِ ، وَأُصْغِى إِلَى غِنَاءِ الْبُلْبُلِ فَيُطْرِبُنِى غِنَاؤُهُ وَ يَكَادُ الدَّمْعُ يَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيَّ تَأَثُّراً وَطَرَباً . »

فَقَالَ لَهَا كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ مُتَلَهِّفاً :

– « اِسْتَمِعِى لِى يَا بُنَيَّةُ ... سَوْفَ أَرْفَعُكِ إِلَى مَنْصِبٍ أَعْلَى مِنْ مَنْصِبِكِ فِى مَطْبَخِ الْقَصْرِ ، إِذَا أَنْتِ دَلَلْتِنَا عَلَى مَكَانِ الْبُلْبُلِ ، وَمَشِيتِ مَعَنَا إِلَيْهِ . »

وَسَارَ الْجَمْعُ تَتَقَدَّمُهُمُ الْفَتَاةُ إِلَى حَيْثُ تَعَوَّدَتْ أَنْ تَسْمَعَ الْبُلْبُلَ يُغَنِّى ، فَمَرُّوا فِى أَثْنَاءِ سَيْرِهِمْ ، بِثَوْرٍ يَمْرَحُ فِى الْغَابَةِ ، فَجَفَلَ مِنْ رُؤْيَتِهِمْ وَأَخَذَ يَخُورُ خُوَاراً شَدِيداً، فَصَاحَ أَحَدُهُمْ :

– « هَا هُوَ ذَا صَوْتُ الْبُلْبُلِ، وَلكِنْ مَا أَضْخَمَ الصَّوْتَ عَلَى طَائِرٍ صَغِيرٍ ... ثُمَّ إِنّى قَدْ سَمِعْتُ هذَا الصَّوْتَ قَبْلَ الآْنِ! »

فَقَالَتْ لَهُ الْفَتَاةُ :

– « لَيْسَ هذَا صَوْتَ الْبُلْبُلِ يَا سَيِّدِى ... إِنَهُ خُوَارُ ثَوْرٍ ... أَمَّا مَكَانُ الْبُلْبُلِ فَلاَ يَزَالُ غَيْرَ قَرِيبٍ مِنْ هُنَا . »

وَلَمْ تَكَدِ الْفَتَاةُ تُتِمُّ كَلاَمَهَا حَتَّى أَخَذَتِ الضَّفَادِعُ تَنِقُّ فِى بَعْضِ الْمُسْتَنْقَعَاتِ وَيُسْمَعُ لِنَقِيقِهَا صَوْتٌ بَعِيدُ الصَّدَى .

فَصَاحَ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ رِجَالِ الْحَشِيَةِ قَائِلاً :

– « هَا هُوَ ذَا صَوْتُ الْبُلْبُلِ، إِنِّى لأَسْمَعَهُ ... إِنَّهُ لَيُشْبِهُ صَوْتَ الْجَرَسِ . » فَقَالَتْ لَهُ فَتَاةُ الْمَطْبَخِ :

– « لَيْسَ هذَا صَوْتَ الْبُلْبُلِ يَا سَيِّدِى ... إِنَهُ نَقِيقُ

الضَّفَادِعُ ... وَكَيْفَمَا كَانَ الْأَمْرُ، فَسَوْفَ نَسْمَعُ صَوْتَ الْبُلْبُلِ بَعْدَ قَلِيلٍ ، فَقَدْ أَصْبَحْنَا عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ مَكَانِهِ . »

وَمَا هِيَ إِلاَّ دَقَائِقُ مَعْدُودَاتٌ ، حَتَّى تَرَقْرَقَ فِي جَوِّ الْغَابَةِ صَوْتٌ حُلْوٌ رَخِيمٌ، يَأْسِرُ الْقُلُوبَ وَالْأَسْمَاعَ ، فَقَالَتِ الْفَتَاةُ :

– « هذَا صَوْتَ الْبُلْبُلِ ... اِسْمَعُوهُ يَا سَادَةُ وَأَصْغُوا إِلَيْهِ . وَانْظُرُوا إِلَى حَيْثُ أُشِيرُ لَكُمْ تَجِدُوا الْبُلْبُلَ الْعَجِيبَ . »

وَالْتَفَتَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ إِصْبَعُ الْفَتَاةِ، فَوَقَعَتْ أَنْظَارُهُمْ عَلَى عُصْفُورٍ صَغِيرٍ ، رَمَادِي اللَّوْنِ ، وَاقِفٍ فَوْقَ غُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ عَالِيَةٍ . فَقَالَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ :

– « مَا كُنْتُ لِأَتَخَيَّلَ الْبُلْبُلَ عَلَى مِثْلِ هذَا الْمَظْهَرِ ... إِنَّهُ حَقًّا طَائِرٌ نَحِيلُ الْجِسْمِ، بَاهِتُ اللَّوْنِ ، فَلَعَلَّهُ اضطَّرَبَ وَبُهِتَ

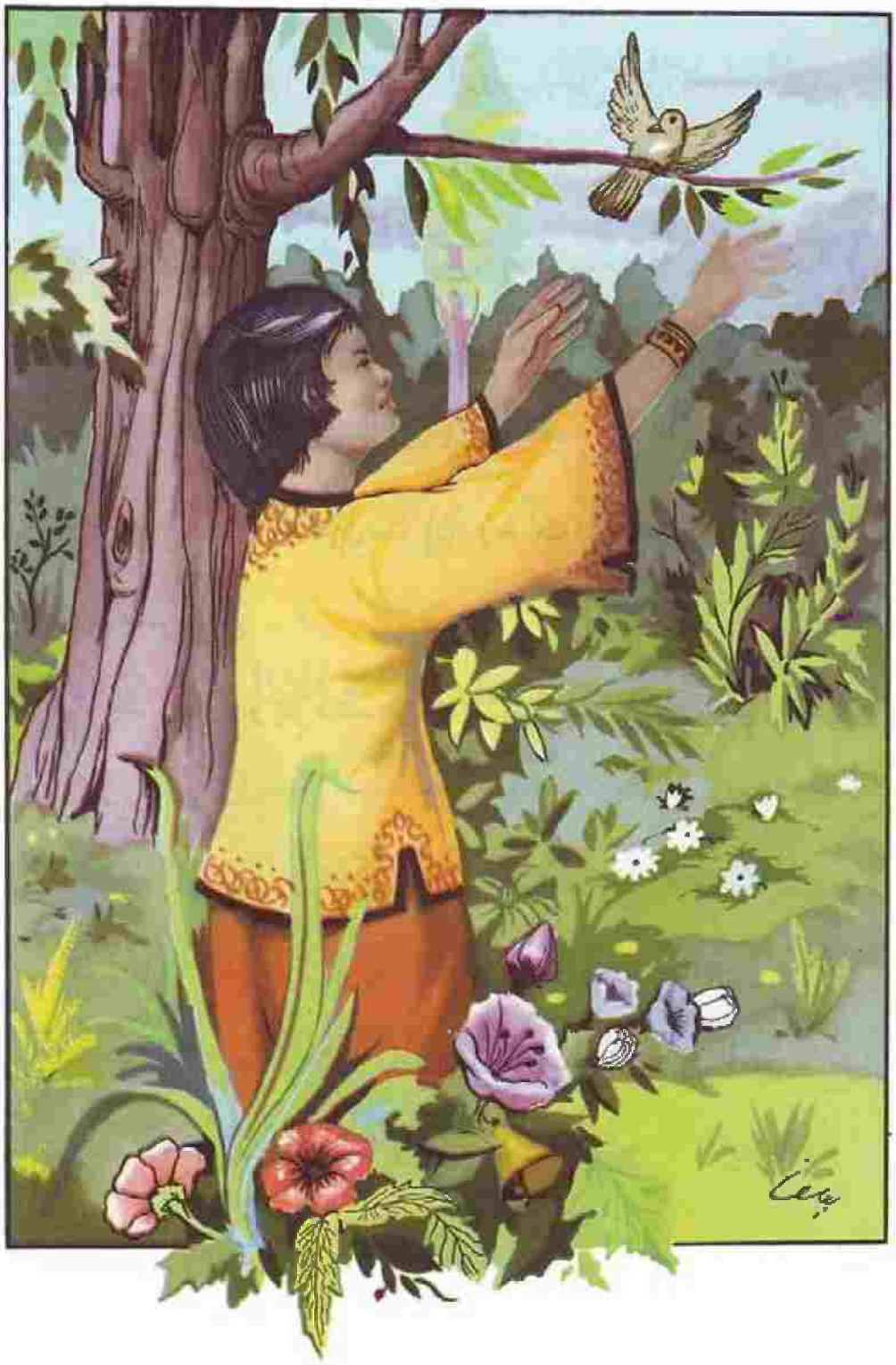

لَوْنُهُ عِنْدَمَا شَاهَدَ هذَا الْجَمْعَ الْغَفِيرَ مِنْ أَكَابِرِ الْقَوْمِ وَعُظَمَائِهِمْ . »

فَرَفَعَتِ الْفَتَاةُ رَأْسَهَا نَحْوَ الْبُلْبُلِ، وَقَالَتْ تُحَدِثُهُ بِصَوْتٍ عَالٍ:

– « أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْعَزِيزُ ! إِنَّ مَلِيكَنَا الْمَحْبُوبَ يَرْغَبُ أَنْ تُغَنِّيَهُ بَعْضَ أَغَانِيكَ. » فَقَالَ الْبُلْبُلُ :

– « عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ ... إِنَّ رَغَبَاتِ الْمَلِكَ أَوَامِرُ نُلَبِّيهَا طَائِعِينَ مَسْرُورِينَ . »

ثُمَّ أَخَذَ يُغَنِّى وَيُغَرِّدُ فَسَحَرَ الْأَلْبَابَ ، وَسَبَى الْقُلُوبَ ، حَتَّى قَالَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ :

– « إِنَّ لِصَوْتِ هذَا الْبُلْبُلِ رَنِيناً يُشْبِهُ رَنِينَ الْبِلَّوْرَ ... »

وظَنَّ الْبُلْبُلُ أَنَّ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ هُوَ الْمَلِكُ فَقَالَ :

– « هَلْ يُرِيدُ جَلَالَةُ الْمَلِكِ أَنْ أَمْضِىَ فِى الصُّدَاحِ وَالتَّغْرِيدِ ؟ »

فَقَالَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ يُجِيبُهُ :

– « يَا عَزِيزِى الْبُلْبُلَ ! إِنَّ جَلاَلَةَ الْمَلِكِ لَيْسَ بَيْنَنَا ، وَلكِنَّهُ سَمِعَ بِكَ فَاشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَتِكَ وَسَماعِ صَوْتِكَ، وَإِنَّهُ لَيَسُرُّنِى وَيُشَرِفُنِى أَنْ أَدْعُوَكَ بِاسْمِ جَلاَلَتِهِ إِلَى شُهُودِ الْحَفْلِ السَّاهِرِ الذَّى يُقامُ فِى قَصْرِهِ وَإِنِّى لَعَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّ جَلاَلَةَ الْمَلِكَ سَيَطْرَبُ غَايَةَ الطَّرَبِ ، إِذَا سَمِعَ صَوْتَكَ وَأَغَانِيَكَ . »

فقال البلبل :

– «إِنَّ صَوْتِي أَجْمَلُ مَا يَكُونُ فِي ٱلْحُقُولِ وٱلْغَابَاتِ ، غَيْرَ أَنَّنِى أَقْبَلُ ٱلدَّعْوَةَ خَضُوعاً لِمَشِيئَةِ ٱلْمَلِكِ .»

وَكَانَ قَصْرُ ٱلْمَلِكِ فِي تِلْكَ ٱللَّيلَةِ مُزْدَاناً بِأَرْوَعِ زِينَةٍ ، وَكانَتِ ٱلْحِيطَانُ وَٱلسُّقُوفُ وَكُلُّهَا مِنَ ٱلْبِلَّوْرِ وٱلْخَزَفِ ٱلصِّينِيِّ ٱلْفَاخِرِ تَبْرُقُ وَتَسْطَعُ فِي ٱلْأَضْواءِ ٱلْمُنْعَكِسَةِ عَلَيْهَا مِنْ آلاَفِ ٱلْمَصَابِيحِ ٱلذَّهَبِيَّةِ . وَكَانَتْ أَرْوِقَةُ ٱلْقَصرِ مُمْتَلِئَةً بِأَجْمَلِ

أَنْوَاعِ ٱلْوَرْدِ وَٱلزَّهْرِ ، وَقَدْ رُبِطَتْ بِهَا أَجْرَاسٌ مِنَ ٱلْفِضَّةِ ، تَتَحَرَّكُ وَتَتَمَايَلُ ، فَيُسْمَعُ لَهَا رَنِينٌ جَمِيلٌ . وَكَانَ ٱلْقَصْرُ كُلُّهُ فِي حَرَكَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ ، فَهذَا يَرُوحُ وَهَذَا يَجِئُ ، وَذَاكَ يَتَحَدَّثُ وَآخَرُ يَضْحَكُ ، حَتَّى شَمَلَ ٱلْقَصْرَ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ مَظْهَرٌ غَرِيبٌ جَدِيدٌ، لَمْ يَأْلَفْهُ ٱلنَّاسُ مِنْ قَبْلُ .

وَكَانَتْ قاعَةُ ٱلْعَرْشِ ٱلْكُبْرَى ، آيَةَ ٱلْآيَاتِ رَوْعَةً وَجَمالاً وَقَدْ نُصِبَتْ فِيهَا قَاعِدَةٌ مِنَ ٱلْفِضَّةِ يَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا غُصْنٌ مِنَ ٱلذَّهَبِ لِيَقِفَ ٱلْبُلْبُلُ فَوْقَهُ .

وَفِي ٱلْمَوْعِدِ ٱلْمُحَدَّدِ ، أَقْبَلَ ٱلْمَلِكُ وَجَلَسَ عَلَى عَرْشِهِ ٱلذَّهَبِيِّ وَٱزْدَحَمَتِ ٱلْحَاشِيَةُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى غَصَّتِ ٱلْقَاعَةُ بِٱلْحَاضِرِينَ عَلَى سِعَتِها ، أَمَّا فَتاةُ ٱلْمَطْبَخِ فَكَانَتْ تَشْهَدُ ٱلْحَفْلَ مِنْ خِلَالِ ٱلثُّقْبِ فِي قُفْلِ أَحَدِ ٱلْأَبْوَابِ ، فَلَقَبُهَا ٱلْجَدِيدُ وَهُوَ « رَئِيسَةُ ٱلْعَامِلَاتِ فِي مَطْبَخِ صَاحِبِ ٱلْجَلَالَةِ » يَأْذَنُ لَها فِي ذَلِكَ .

وغَرَّدَ ٱلْبُلْبُلُ تَغْرِيداً جَمِيلاً ، سَحَرَ ٱلْقُلُوبَ ، وَأَجْرَى ٱلدَّمْعَ عَلَى ٱلْخُدُودِ مِنْ شِدَةِ ٱلطَّرَبِ وَٱلتَّأَثُّرِ، وَكَانَ ٱلْمَلِكُ أَكْثَرَ ٱلسَّامِعِينَ تَأَثُّراً ، وَأَغْزَرَهُمْ دُمُوعاً ، فَخَلَعَ قِلادَةً كَانَتْ فِي عُنُقِهِ ، وَأَمَرَ بِأَنْ تُعَلَّقَ بِعُنُقِ الْبُلْبُلِ دَلَالَةً عَلَى سُرُورِهِ وَرِضَاهُ . فَاعْتَذَرَ ٱلْبُلْبُلُ عَنْ قَبُولِ تِلْكَ الْهَدِيَّةِ وَقَالَ :

– « لَقَدْ كُوفِئْتُ عَلَى أَثْمَنَ مُكَافَأَةٍ ، فَقَدْ رَأَيْتُ

ٱلدَّمْعَ يَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيِ ٱلْمَلِكِ ، وَذَلِكَ عِنْدِي أَغْلَى مِنْ كُلِّ كُنُوزِ ٱلْأَرْضِ ، إِنَّ دُمُوعَ ٱلْمَلِكِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ثَمِينٌ ، وَإِنِّي لَأَعُدُّ نَفْسِي قَدْ نِلْتُ بِهَا أَعْظَمَ ٱلْجَزَاءِ . »

وَٱنْتَهَى ٱلْحَفْلُ عَلَى أَجْمَلِ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلْبَهْجَةِ وَٱلسُّرُورِ، وَأَصْدَرَ ٱلْمَلِكُ أَمْرَهُ بِأَنْ يَسْكُنَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْقَصْرَ ، وَأَنْ يُصْنَعَ لَهُ قَفَصٌ خَاصٌّ يَأْوِي إِلَيْهِ ، وَلٰكِنَّهُ سَمَحَ لَهُ بِمُغَادَرَةِ ٱلْقَصْرِ مَرَّتَيْنِ فِي ٱلنَّهَارِ ، وَمَرَّةً فِي ٱللَّيْلِ . وَأَمَرَ كَذٰلِكَ بِأَنْ يَقُومَ عَلَى خِدْمَةِ ٱلْبُلْبُلِ ٱثْنَا عَشَرَ خَادِماً .

فَكَانَ كُلُّ خَادِمٍ مِنْ هٰؤُلَاءِ يُمْسِكُ بِيَدِهِ خَيْطاً مِنَ ٱلْحَرِيرِ رُبِطَ طَرَفُهُ ٱلْآخَرُ بِإِحْدَى قَائِمَتَيِ ٱلْبُلْبُلِ ، فَضَاقَ ٱلْعُصْفُورُ ٱلْمِسْكِينُ بِهٰذِهِ ٱلْحَالِ ، وَعَدَلَ عَنْ مُغَادَرَةِ ٱلْقَصْرِ ، حَتَّى فِي ٱلْمَرَّاتِ ٱلَّتِي سُمِحَ لَهُ بِهَا ، وَٱسْتَقَرَّ فِي قَفَصِهِ هَادِئاً سَاكِناً .

وَقَامَتِ ٱلْعَاصِمَةُ وَقَعَدَتْ ، وَأَصْبَحَتْ لَا تَتَحَدَّثُ إِلَّا عَنْ

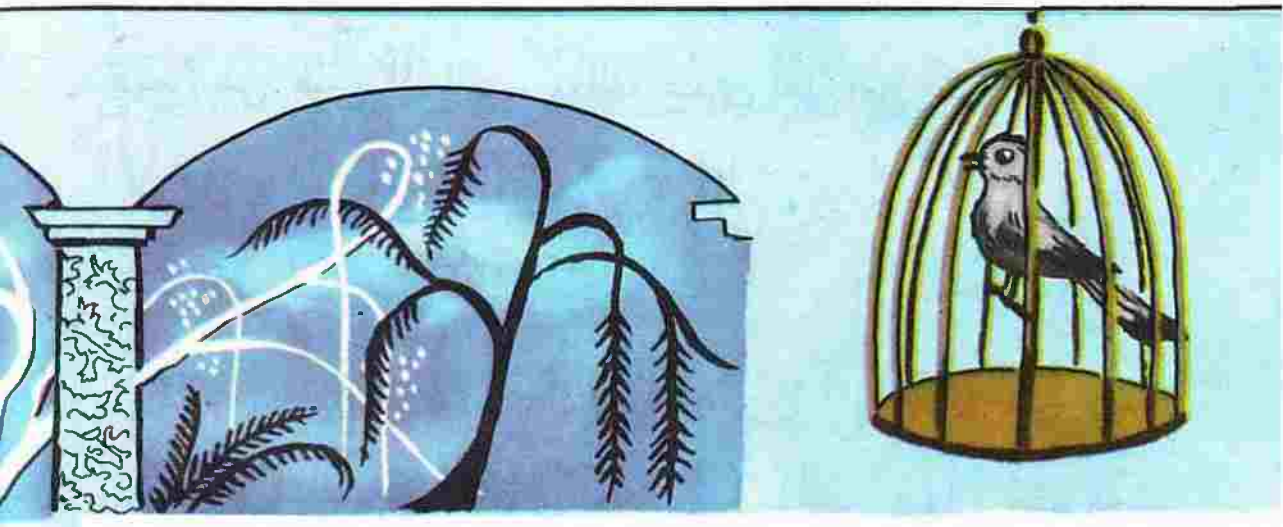

ذلِكَ ٱلْبُلْبُلِ صَاحِبِ ٱلصَّوْتِ ٱلْجَمِيلِ ٱلسَّاحِرِ.

وَأَخَـذَ ٱلآبَاءُ وَٱلأُمَّهَاتُ يُسَمُّونَ كُلَّ مَوْلُودٍ لَهُمْ بِاسْمِ « بُلْبُل » إِظْهَاراً لِإِعْجَابِهِمْ بِّذَلِكَ ٱلطَّائِرِ ٱلْجَمِيلِ ، وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ هؤُلَاءِ ٱلْمَوَالِيدِ أَيُّ أَثَرٍ مِنْ صَوْتِ ٱلْبُلْبُلِ .

وَتَلَقَى ٱلْمَلِكُ فِي يَوْمٍ مِنَ ٱلأَيَّامِ عُلْبَةً كَبِيرَةً مَكْتُوباً عَلَيْهَا كَلِمَةُ «بُلْبُل» فَقَلَّبَ ٱلْمَلِكُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ :

– «لابُدَّ أَنَّهُ كِتَابٌ جَدِيدٌ مِنَ ٱلْـكُتُبِ ٱلْمُؤَلَّـفَةِ عَنْ هَذَا ٱلْطَائِرِ ٱلشَّهِيرِ.»

ثُمَّ فَتَحَ ٱلْعُلْبَةَ فَوَجَدَ فِيهَا
أُعْجُوبَةً مِنْ أَعَاجِيبِ ٱلصِنَّاعَةِ ،
فَقَدْ كَانَ فِي دَاخِلِهَا عُصْفُورٌ مَصْنُوعٌ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ مُرَصَّعٌ

بِالأَلْمَاسِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُّدِ ، يُشْبِهُ كُلَّ الشَّبَهِ ذلِكَ الْبُلْبُلَ الْحَىَّ .

وَكَانَ إِذَا أُدِيرَ مِفْتَاحُ الْآلَةِ الْمُرَكَّبَةِ فِي جَوْفِهِ ، انْطَلَقَ يُغَنّى إِحْدَى الْأَغَانِى الَّتى تَعَوَّدَ الْبُلْبُلُ الْحَىُّ أَنْ يُغَنّيهَا ، وَأَخَذَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُحَرِكُ ذَيْلَهُ الْبَرَّاقَ اللَّمَّاعَ .

وَكَانَ عُنُقُ ذلِكَ الْبُلْبُلِ الْآلِى مُلَفُوفاً بِمِنْدِيلٍ مِنَ الْحَرِيرِ ، كُتِبَتْ عَلَيْهِ الْعِبَارَةُ الْآتِيَةُ : «بُلْبُلُ مَلِكِ الصِّينِ لا يُقَارَنُ بِبُلْبُلِ مَلِكِ الْيَابَانِ .

وَالْحَقُّ أَنَّ الْمَلِكَ عِنْدَمَا فَتَحَ الْعُلْبَةَ ، لَمْ يَسْتَطِعْ هُوَ وَلا اسْتَطَاعَ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَهُ أَنْ يَكْتُمُوا دَهْشَتَهُمْ وإِعْجَابَهُمْ فَصَاحُوا كُلُّهُمْ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ :

«يَا لَلْعَجَبِ ! »

وَفَكَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : « لَقَدْ صَارَ لَدَيْنَا بُلْبُلَانِ ، وَلَسَوْفَ يُغَنِّيَانِ مَعاً ، وَيَكُونُ لَنَا مِنْ

غِنَائِهِمَا مُوسِيقَى مُزْدَوِجَةٌ !»

وَتَحَقَّقَتِ ٱلْفِكْرَةُ ، وَغَنَّى ٱلْبُلْبُلَانِ مَعاً ، وَلٰكِنْ عَلَى غَيْرِ مَا ٱشْتَهَى ٱلسَامِعُونَ ، فَبَيْنَما كَانَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيُّ حُرًّا طَلِيقاً ، يُغَرِّدُ كَمَا يَشَاءُ ، كَانَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلصِّنَاعِيُّ مُقَيَّداً بِٱلْآلَةِ ٱلْمَوْضُوعَةِ فِي جَوْفِهِ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحِيدَ عَنْهَا ، فَتَضَايَقَ ٱلسَّامِعُونَ ، فَقَالَ رَئِيسُ جَوْقَة

ٱلْمُوسِيقَى فِي ٱلْقَصْرِ :

«لَيْسَ ٱلذَّنْبِ ذَنْبَ هذَا ٱلْبُلْبُلِ ٱلصِّنَاعِيّ ، فَهُوَ أَمِينٌ عَلَى ٱلنَّغَمِ كَأَنَّهُ مُتَخَرِّجٌ فِي مَدْرَسَتِى ، فَٱلْأَفْضَلُ أَنْ يُغَنِّيَ وَحْدَهُ .»

وَجَعَلُوا ٱلْبُلْبُلَ ٱلصِّنَاعِيَّ يُغَنِّى وَحْدَهُ ، فَلَقِيَ مِثْلَ ٱلنَّجَاحِ ٱلَّذِى لَقِيَهُ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحِيُّ ، فَضْلاً عَنْ أَنَّهُ كَانَ أَجْمَلَ مَنْظَراً بِمَا يَسْطَعُ فِيهِ مِنْ لآلِيءَ وَجَوَاهِرَ .

وَٱسْتَعَادَهُ ٱلسَّامِعُونَ مِرَاراً فَأَعَادَ ٱلْأُنْشُودَةَ ٱثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ مَرَّةً ، فَمَا مَلَّ وَلا تَعِبَ ، وَكَادُوا يَطْلُبُونَ سَمَاعَهَا لِلْمَرَّةِ ٱلثَّالِثَةِ وَٱلثَّلَاثِينَ ، لَوْلا أَنْ ٱلْمَلِكَ ٱسْتَوقَفَهُمْ وَقَالَ :

– «كَفَى . فَعَلَى ٱلْبُلْبُلِ ٱلْحَيِّ أَنْ يَصْدَحَ ٱلآنَ .»

وَلكِنْ أَيْنَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيّ ؟ كَانَ حُرَاسُهُ قَدْ شُغِلُوا عَنْهُ بِٱلْبُلْبُلِ ٱلصِنَّاعِيِّ ، فَتَرَاكُوا ٱلْخُيُوطَ ٱلَّتِى فِي أَيْدِيهِمْ ، فَغَافَلَ ٱلْجَمْعَ

وَطَارَ مِنَ ٱلنَّافِذَةِ ٱلْمَفْتُوحَةِ ، وَعَادَ إِلَى عُشِّهِ فِي ٱلْغَابَةِ .

وَٱشْتَدَّ غَضَبُ ٱلْمَلِكِ وَحَاشِيَتِهِ عَلَى ٱلْبُلْبُلِ ٱلْحَيِّ ٱلْهَارِبِ ، فَصَدَرَتِ ٱلْأَوَامِرُ بِنَفْيِهِ مِنَ ٱلْعَاصِمَةِ ، بَلْ مِنَ ٱلْمَمْلَكَةِ بِأَسْرِهَا ، جَزَاءَ فِرَارِهِ وَإِنْكَارِهِ لِلْجَمِيلِ .

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ أَلْتَمَسَ رَئِيسُ جَوْقَةِ ٱلْمُوسِيقَى مِنَ ٱلْمَلِكِ ، أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِعَرْضِ ٱلْبُلْبُلِ ٱلصِّنَاعِيِّ عَلَى جُمْهُورٍ مِنَ ٱلشَّعْبِ لِيَتَمَتَّعَ بِجَمَالِهِ وَغِنَائِهِ ٱلْبَدِيعِ ، فَأَذِنَ ٱلْمَلِكُ لَهُ فِي ذٰلِكَ ، وَكَانَ سُرُورُ ٱلشَّعْبِ بِسَمَاعِ غِنَاءِ ٱلْبُلْبُلِ عَظِيماً لَا يُوصَفُ .

وَأُحِيطَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلصِّنَاعِيُّ بِكُلِ رِعَايَةٍ وَتَكْرِيمٍ ، فَوَضَعُوهُ فَوْقَ وِسَادَةٍ مِنَ ٱلْحَرِيرِ ، عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ سَرِيرِ ٱلْمَلِكِ ، وَنَثَرُوا حَوْلَهُ جَمِيعَ ٱلْهَدَايَا ٱلَّتِي قُدِّمَتْ لَهُ وَطُلَهَا مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْجِجَارَةِ ٱلْكَرِيمَةِ : وَمَنَحَهُ ٱلْمَلِكُ لَقَبَ « مُطْرِبِ ٱلْمَلِكِ » وَكَانَ مِنْ حَقِّ حَامِلِ هٰذَا ٱللَّقَبِ أَنْ يَجْلِسَ فِي ٱلصَّفِّ ٱلْأَوَّلِ

إِلى يَسَارِ رَبِّ ٱلْقَصْرِ .

وَكَانَ ٱلْمَلِكُ قَدْ فَضَّلَ جِهَةَ ٱلْيَسَارِ عَلَى جِهَةِ ٱلْيَمِينِ ، وَمَيَّزَهَا بِٱلشَّرَفِ وَٱلْفَضْلِ ، لأَنَّهَا جِهَةُ ٱلْقَلْبِ مِنْ جِسْمِ ٱلْإِنْسَانِ ، فَٱلْمُلُوكُ هُمْ أَيْضاً تَقُومُ قُلُوبُهُمْ إِلَى ٱلْيَسَارِ ، مِثْلَ بَقِيَّةِ ٱلنَّاسِ ، وَلاَ يَخْتَلِفُونَ عَنْهُمْ فِي هٰذَا الأَمْرِ .

وَمَضَتْ عَلَى ذٰلِكَ سَنَةٌ كَامِلَةٌ ، حَتَّى إِنَّ ٱلْمَلِكَ وَرِجَالَ حَاشِيَتِهِ وَجَمِيعَ ٱلصِينِّيِينَ ، أَصْبَحُوا يَحْفَظُونَ عَنْ ظَهْرِ ٱلْقَلْبِ ، كُلَّ كَلِمَةٍ بَلْ كُلَّ نَغْمَةٍ مِنْ أُغْنِيَةِ ٱلْبُلْبُلِ ٱلصِنَّاعِيِّ .

وَحِينَمَا كَانَتْ جُمُوعُهُمْ ، مِنَ ٱلْمَلِكِ إِلَى صِبْيَةِ ٱلشَّوَارِعِ تُغَنِّي وَتَقُولُ : «توى ... توى ... توى ... توى ... جلوجلو...

جلوجلو... جلوجلو... جلوجلو...» كَانَ يُخَيَّلُ إِلَى السَّامِعِ ، أَنَّ أَصْوَاتَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلصِّينِ قَدِ انْقَلَبَتْ كُلُّهَا إِلَى تَغْرِيدِ ٱلْبَلَابِلِ .»

وَٱتَّفَقَ فِي مَسَاءِ أَحَدِ ٱلْأَيَّامِ ، أَنْ كَانَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلصِنَّاعِيُّ يُغَنِّي وَحْدَهُ لِلْمَلِكِ الْمُضْطَجِعِ فِي سَرِيرِهِ ، فَسُمِعَ فَجْأَةً فِي جِسْمِ ٱلْبُلْبُلِ دَوِيٌّ شَدِيدٌ كَأَنَّهُ يَقُولُ : «كراك» مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ فِيهِ قَدِ ٱنْكَسَرَ ، وَتَبِعَ ذلِكَ ٱلدَّوِيَّ صَوْتٌ آخَرُ يُشْبِهُ ٱلْكَرْكَرَةَ... كر ... وَكَانَ ذلِكَ صَوْتَ ٱللَّوَالِبِ ٱلصَّغِيرَةِ ٱلْمُرَكَّبَةِ فِي ٱلْآلَةِ ، فَقَدْ تَفَكَّكَتْ وَٱنْكَسَرَ بَعْضُهَا ، وَٱنْقَطَعَ صَوْتُ ٱلْبُلْبُلِ فَلَا غِنَاءَ وَلَا تَغْرِيدَ .

فَقَفَزَ ٱلْمَلِكُ مِنْ سَرِيرِهِ ، وَٱسْتَدْعَى عَلَى ٱلْفَوْرِ طَبِيبَهُ ٱلْخَاصَّ ، وَلكِنَّ ٱلطَّبِيبَ عَجَزَ عَنْ أَنْ يَسْتَطِيعَ مُدَاوَاةَ ٱلْبُلْبُلِ ، فَكُلُّ مَا فِي جِسْمِ هذَا ٱلْبُلْبُلِ مِنْ عُدَدٍ وَآلاتٍ يَخْرُجُ عَنِ ٱخْتِصَاصِ ٱلطَّبِيبِ .

فَٱسْتَدْعَى ٱلْمَلِكُ عِنْدَئِذٍ سَاعَاتِيَّ ٱلْقَصْرِ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ إِصْلاَحَ ٱلْخَلَلَ ، فَبَعْدَ أَلْفِ مُحَاوَلَةٍ ، وَبَعْدَ أَلْفِ تَجْرِبَةٍ وَتَجْرِبَةٍ ، تَمَكَنَ اَلسَّاعَاتِيُّ مِنْ إِصْلاَحِ بَعْضِ ٱلأَجْزَاءِ وَتَرْكِيبِهَا ثَانِيَةً، فَعَادَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلصِنَّاعِيُّ إِلَى ٱلْغِنَاءِ ، وَلَكِنْ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ يَخْتَلِفُ عَنْ صَوْتِهِ ٱلأَوَّلِ ٱلْقَوِيّ ، ذلِكَ أَنَّ ٱلْقَوَالِبَ وَٱلتُّرُوسَ كَانَتْ قَدْ مُسِحَتْ وَبَلِيَتْ مِنْ كَثْرَةِ ٱلاِسْتِعْمَالِ وَٱلدَّوَرَانِ ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَكُونَ ٱلشَّيْءُ ٱلْجَدِيدُ مِثْلَ ٱلشَّيْءِ ٱلْقَدِيمِ ٱلْمُسْتَعْمَلِ ٱلْبَالِي .

وَأَسِفَ ٱلنَّاسُ عَلَى هذِهِ ٱلْحَالِ ، وَٱقْتَصَرُوا عَلَى يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي ٱلسَّنَةِ ، يَسْمَعُونَ فِيهِ غِنَاءَ هذَا ٱلْبُلْبُلِ .

وَاسْتَمَرُّوا كَذَلِكَ خَمْسَ سَنَوَاتٍ مَرِضَ ٱلْمَلِكَ بَعْدَهَا مَرَضاً شَدِيداً أَشْرَفَ بِهِ عَلَى ٱلْمَوْتِ ، وَتَوَقَّعَ ٱلشَّعْبُ أَنْ يُعْلِنَ ٱلْقَصْرُ نَبَأَ مَوْتِ ٱلْمَلِكِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وأُخْرَى .

وَلَمَّا أَيْقَنَ رِجَالُ ٱلدَّوْلَةِ وَٱلشَّعْبُ ، أَنَّ ٱلْمَلِكَ يُعَالِجُ سَكَرَاتِ ٱلْمَوْتِ ، ٱخْتَارُوا مَلِكاً آخَرَ ، وَٱسْتَعَدُّوا لِلاِحْتِفَالِ بِتَتْوِيجِهِ ، بَعْدَ أَنْ يَدْفِنُوا ٱلْمَلِكَ ٱلرَّاحِلَ ، وَيُوَارُوهُ فِي ٱلتُّرَابِ .

وَكَانَ ٱلْمَلِكُ ٱلْمَرِيضُ مُسْتَلْقِياً فِي ذلِكَ ٱلْوَقْتِ إِلَى فِرَاشِهِ ، بَارِدَ ٱلْجَسَدِ ، تَعْلُوا وَجْهَهُ صُفْرَةُ ٱلأَمْوَاتِ ،

وَكَانَ أَقْرَبُ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ مِنْ رِجَالِ حَاشِيَتِهِ ، قَدِ ٱنْصَرَفُوا عَنْهُ ، وَتَرَكُوا خِدْمَتَهُ وَمُدَاوَاتَهُ ، وَصَارَ كُلُّ هَمِّهِمْ بَعْدَ مَا وَثِقُوا بِقُرْبِ مَمَاتِهِ ، أَنْ يَلْتَفُّوا حَوْلَ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَدِيدِ ٱلَّذِى ٱخْتَارُوهُ ، وَيُقَدِّمُوا لَهُ

فُرُوضَ ٱلطَّاعَةِ وَٱلإِجْلالِ .

وَحَتَّى ٱلْخَدَمُ وَٱلْمُمَرِضَاتُ ، مِمَّنْ كَانُوا قَائِمِينَ عَلَى خِدْمَتِهِ ، أَصْبَحُوا يُهْمِلُونَ شَأْنَهُ كُلَّ ٱلإِهْمَالِ ، وَيَتَجَمَعُونَ وَرَاءَ بَابَ حُجْرَتِهِ ، يَتَحَدَّثُونَ وَيَضْحَكُونَ ، وَيَشْرَبُونَ ٱلْقَهْوَةَ فِي مُعْظَمِ سَاعَاتِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ .

وَٱلْوَاقِعُ أَنَّ ٱلْمَلِكَ ٱلْمَرِيضَ ، لَمْ يَكُنْ قَدْ مَاتَ بَعْدُ ، فَإِنْ بَدَا شَاحِبَ اللَّوْنِ ، يَائِسَ ٱلْجِسْمِ ؛ فَإِنَّ أَنْفَاسَهُ ٱلضَعِيفَةَ كَانَتْ لا تَزَالُ تَتَرَدَّدُ فِي صَدْرِهِ ، وَهُوَ مُمَدَّدٌ فَوْقَ سَرِيرِهِ ٱلْمُجَلَّلِ بِسَتَائِرَ مِنَ ٱلْحَرِيرِ وَٱلْمُخَمَلِ ، ٱلْمُرَصَّعِ بِٱلْفِضَّةِ وَٱلذَّهَبِ .

وَفِي ٱللَّيْلَةِ ٱلَّتِى ظَنَّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّها خَاتِمَةُ حَيَاتِهِ ، كَانَّ ٱلْقَمَرُ بَدْراً تَمَاماً ، يُرْسِلُ مِنْ خِلالِ ٱلنَّافِذَةِ ٱلْمَفْتُوحَةِ أَشِعَّتَهُ ، فَتَقَعُ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَلِكِ .

وَلكِنَّ ٱلْمَلِكَ كَانَ مَشْغُولاً عَنْ بَهَاءِ ٱلْقَمَرِ وَنُورِهِ ٱلْفَضِّيِّ ،

بِمَا كَانَ يُحِسُّ بِهِ مِنْ ضِيقٍ شَدِيدٍ .

فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ قَلِيلاً ، فَلاَحَ لَهُ شَبَحُ ٱلْمَوْتِ جَاثِماً فَوْقَهُ ، وَقَدِ ٱنْتَزَعَ مِنْهُ تَاجَهُ ٱلْمَلَكِيَّ ، وَأَمْسَكَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ سَيْفَهُ ٱلذَّهَبِيَّ ، وَحَمَلَ بِٱلأُخْرَى رَايَتَهُ ٱلْحَرِيرِيَّةَ ، فَأَدَارَ بَصَرَهُ عَنْهُ ، فَبَدَتْ لَهُ مِنْ ثَنَايَا ٱلأَسْتَارِ ٱلْمُحِطَةِ بِسَرِيرِهِ ، وُجُوهٌ غَرِيبَةٌ ، كَانَ بَعْضُهَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِنَظَرَاتِ ٱلسُّخْطِ وَٱلْغَضَبِ ، وَكَانَ بَعْضُهَا يَغْمُرُهُ بِنَظَرَاتِ ٱلْعَطْفِ وَٱلْحَنَانِ :

كَانَتِ ٱلْوُجُوهُ ٱلأُولَى أَشْبَاحَ أَعْمَالِهِ ٱلسَّيِّئَةِ فِي ٱلْحَيَاةِ وَكَانَتِ ٱلأُخْرَى خَيَالَ أَعْمَالِهِ ٱلصَّالِحَةِ فِيهَا ، وَقَدْ تَرَاءَتْ لَهُ هذِهِ وَتِلْكَ فِي ٱللَّحْظَةِ ٱلَّتِي كَانَ فِيهَا ٱلْمَوْتُ يَجْثِمُ فَوْقَ صَدْرِهِ ، وَيَسْتَعِدُّ لاِخْتِطَافِ رُوحِهِ .

وَسَمِعَ تِلْكَ ٱلْوُجُوهَ قَبِيحَهَا وَٱلْحَسَنَ ، تَتَنَاوَبُ ٱلْحَدِيثَ ، وَتَقُولُ لَهُ وَاحِداً بَعْدَ آخَرَ : «هَلْ تَذْكُرُ ؟ هَلْ تَذْكُرُ ؟»

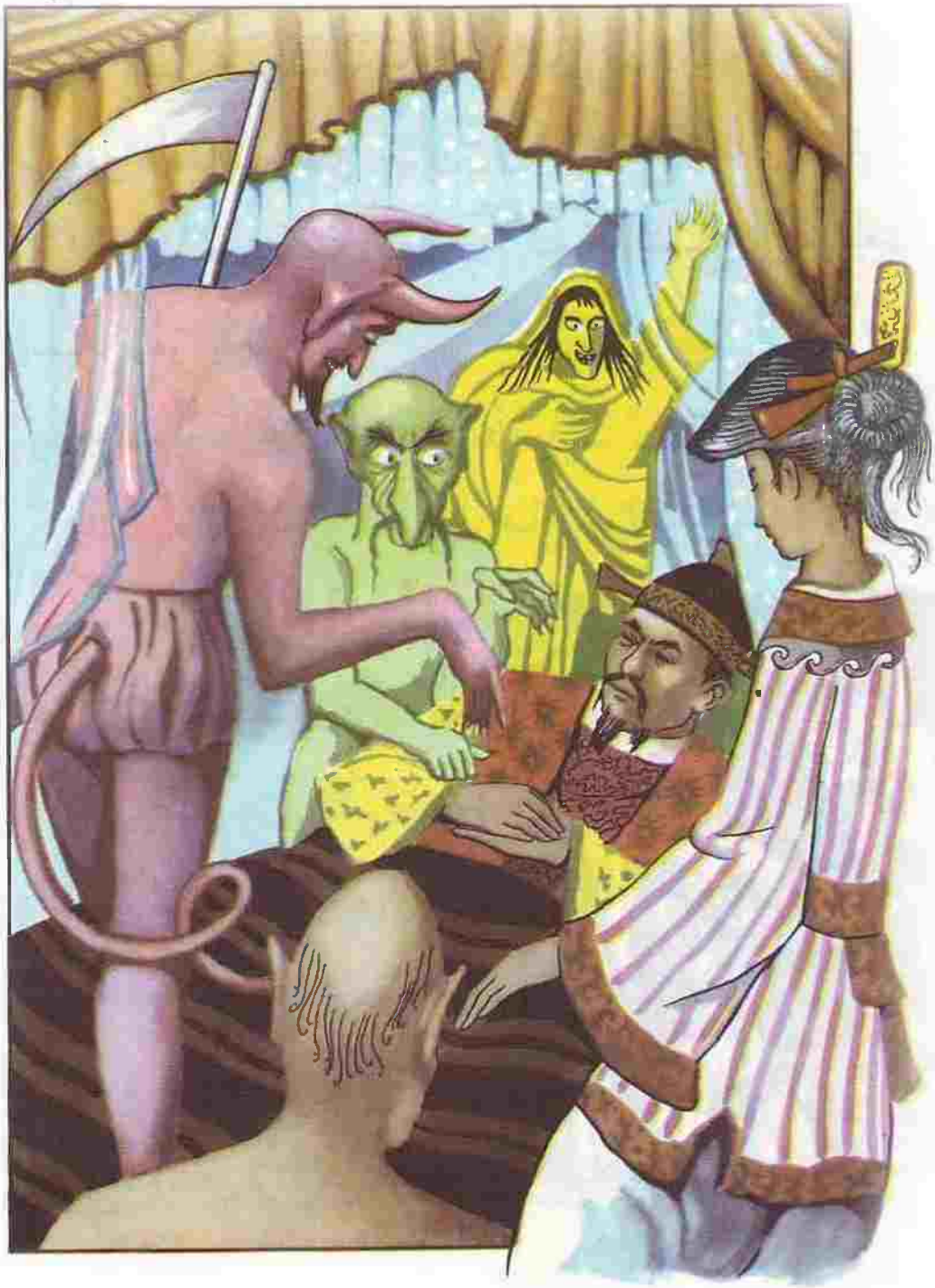

ثُمَّ تُتْبِعُ هذِهِ ٱلْجُمْلَةَ بِكَلاَمٍ طَوِيلٍ تَقُصُّ عَلَيْهِ فِيهِ مَا قَامَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ خِلاَلَ حَيَاتِهِ ، فَكَانَ يَسْتَمِعُ لَهَا ، وَٱلْعَرَقُ ٱلْبَارِدُ يَتَصَبَّبُ مِنْ جَبِينِهِ ، وَيُقَاطِعُهَا كُلَّمَا ٱسْتَطَاعَ إِلَى مُقَاطِعَتِهَا سَبِيلاً وَهُوَ يَقُولُ :

«لا أَذْكُرُ ! لا أَذْكُرُ !»

فَلَمَّا أَطَالَتْ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلَ ، صَاحَ مُسْتَغِيثاً :

– «هَاتُوا لِيَ ٱلْمُوسِيقَى ! هَاتُوا لِيَ ٱلْمُوسِيقَى ! هَاتُوا ٱلطَّبْلَ ٱلصِّينِيَّ ٱلْكَبِيرَ ، وَٱضْرِبُوا عَلَيْهِ أَشَدَّ ٱلضَّرْبِ ، حَتَّى يُغَطِّيَ دَوِيُّهُ هذِهِ ٱلْأَصْوَاتَ ، وَيُنْقِذَنِي مِنْهَا ، فَإِنَّهَا تُزْعِجُنِي وَلا أُرِيدُ حَتَّى سَمَاعَ ٱلْكَرِيمِ ٱللَّطِيفِ مِنْهَا .

وَلكِنْ عَبَثاً كَانَ يَصِيحُ وَيَسْتَغِيثُ ، فَمَا سَكَتَتْ تِلْكَ ٱلْوُجُوهُ ٱلْغَرِيبَةُ عَنِ ٱلْكَلاَمِ ، بَلِ ٱسْتَمَرَّتْ فِيهِ وَأَطَالَتْ ، وَشَبَحُ ٱلْمَوْتِ يُصْغِي إِلَيْهَا عَلَى مُخْتَلِفِ رِوَايَاتِهَا ، وَيَهُزُّ رَأْسَهُ مُوَافِقاً عَلَى مَا تَقُصُّ وَتَقُولُ .

وَضَاق ٱلْمَلِكُ بِذلِكَ ٱلْحَدِيثِ ، وَفَقَدَ كُلَّ صَبْرٍ عَلَيْهِ ، فَعادَ يَصِيحُ وَيَسْتَغِيثُ وَيَقُولُ :

– « هَاتُوا لِيَ ٱلْمُوسِيقَى ! هَاتُوا لِيَ ٱلْمُوسِيقَى ! »

فَمَا أَجَابَهُ أَحَدٌ ، وَلا لَبَّى نِدَاءَهُ ، فَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْبُلْبُلِ ٱلصِّنَاعِيِّ ٱلْوَاقِفِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ سَرِيرِهِ ، وَقَالَ لَهُ :

– « أَيُّهَا ٱلطَّائِرُ ٱلْعزِيزُ ٱلْجَمِيلُ ! غَنِّ غَنِّ . أَسْمِعْني لَحْنَكَ ٱلْمُطرِبَ ... إِنّي غَمَرْتُكَ بِٱلْمَالِ وَالْهَدَايَا ٱلثَّمِينَةِ ... فَغَنِّ لِي إِذَنْ، وَأَسْمِعْني نَغَمَاتِكَ ٱلْحُلْوَةَ ٱلْجَمِيلَةَ ... »

وَبَقِيَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلصِنّاَعِيُّ سَاكِتاً جَامِدًا لاَ يَتَحَرَّكُ وَلاَ يُجِيبُ،

وَلاَ تَنْفَرِجُ شَفَتاهُ عَنْ أَيَّةِ نَغْمَةٍ مِنَ النَّغَمَاتِ ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي ٱلْحُجْرَةِ أَحَدٌ يُدِيرُ مِفْتَاحَ ٱلآلَةِ ٱلْمُرَكَّبَةِ فِي جَسَدِهِ ، لِتَتَحَرَّكَ وَيَنْبَعِثَ مِنْهَا ٱلْغِنَاءُ .

وَسَكَتَ ٱلْمَلِكُ يَائِساً وَمُتْعَباً ، وَخَيَّمَ حَوْلَهُ صَمْتٌ رَهِيبٌ مُخِيفٌ ، وَأَخَذَ ٱلْمَوْتُ يُحَدِقُ فِي وَجْهِ ٱلْمَلِكِ بِعَيْنَيْهِ ٱلْغَائِرَتَيْنِ وَعَلَى حِينِ فَجْأَةٍ ، سُمِعَ عِنْدَ ٱلنَّافِذَةِ ٱلْمَفْتُوحَةِ ، صَوْتٌ مِنْ أَجْمَلِ ٱلأَصْوَاتِ يُغَنِّي وَيُغَرِّدُ ... كَانَ ذلِكَ ٱلصَّوْتُ صَوْتَ ٱلْبُلْبُلِ ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي عَرَفْنَاهُ ، فَقَدْ وَقَفَ فَوْقَ شَجَرَةٍ قُرْبَ ٱلنَّافِذَةِ ، وَٱنْدَفَعَ فِي ٱلْغِنَاءِ .

وَكَانَ هذَا ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيُّ ، قَدْ عَلِمَ بِمَرَضِ ٱلْمَلِكِ ،

فَجَاءَ إِلَيْهِ يُوَاسِيهِ بِأَنْغَامِهِ ، وَيَبْعَثُ فِي نَفْسِهِ ٱلْأَمَلَ بِٱلشِّفَاءِ .

وَلَمْ يَكَدِ ٱلْمَلِكُ يَسْمَعُ ذَلِكَ ٱلنَّغَمَ ٱلسَّاحِرَ ،وَٱلْصَوْتَ ٱلْجَمِيلَ حَتَّى غَابَتْ عَنْ أَنْظَارِهِ شَيْئاً فَشَيْئاً ، تِلْكَ ٱلْوُجُوهُ ٱلْغَرِيبَةُ ٱلَّتِى كَانَ يَلْمَحُهَا مِنْ ثَنَايَا أَسْتَارِ سَرِيرِهِ ، وَحَتَّى عَادَ ٱلدَّمُ فِي عُرُوقِهِ ، فَاضطَرَبَ ٱلْمَوْتُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ذلِكَ ٱلْصَوْتَ ٱلْفَاتِنَ وَقَالَ يُخَاطِبُ ٱلْبُلْبُلَ ٱلْحَىَّ :

– «اِسْتَمِرَّ فِي ٱلْغِنَاءِ أَيُّهَا ٱلْبُلْبُلَ ... اِسْتَمِرَّ ...»

فَقَالَ ٱلْبُلْبُلُ :

– « نَعَمْ سَأَسْتَمِرُّ إِذَا أَعْطَيْتَنِى تَاجَ ٱلْمَلِكِ ، وَسَيْفَهُ ٱلْذَّهَبِىَّ ، وَرَايَتَهُ ٱلْحَرِيرِيَّةَ .»

فَقَدَّمَ ٱلْمَوْتُ لِلْبُلْبُلِ تِلْكَ ٱلْكُنُوزَ ، فِي سَبِيلِ أُغْنِيَةٍ يَسْمَعُها مِنْهُ ، فَوَفَى ٱلْبُلْبُلُ بِٱلْوَعْدِ ، وَٱسْتَمَرَّ يُغَنِّى ...

غَنَّى ٱلْبُلْبُلُ لَحْنَ ٱلْمَدَافِنِ وَٱلْقُبُورِ ، حَيْثُ يَسُودُ ٱلْصَّمْتُ ، وتُخَيِّمُ ٱلسَّكِينَةُ ، وَتَتَفَتَحُ ٱلْأَزْهَارُ ، وَيَنْمُو ٱلْعُشْبُ تَسْقِيهِ دُمُوعُ ٱلْأَحْيَاءِ...

فَٱسْتَولَتْ عَلَى ٱلْمَوْتِ عِنْدَئِذٍ ٱلرَّغْبَةُ فِي ٱلْعَوْدَةِ إِلَى بُسْتَانِهِ فَتَوارَى عَنْ ٱلأَبْصَارِ ، كَمَا تَتَوارَى وَتَضْمَحِلُّ ٱلسَّحَابَةُ ٱلرَّقِيقَةُ ٱلْبَارِدَةُ ... فَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِلْبُلْبُلِ ٱلْحَيِّ :

– « شُكْراً لَكَ أَيُّهَا ٱلْعُصْفُورُ ٱلسَّمَاوِيُّ ! ... إِنِّى لأَعْرِفُكَ حَقَّ ٱلْمَعْرِفَةِ ... أَنْتَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلذَّى نَفَيْتَهُ مِنْ مَمْلَكَتِى ، فَجِئْتَ مَعَ ذلِكَ تَدْفَعُ ٱلْمَوْتَ عَنِّى ، وَتَطْرُدُ ٱلأَشْبَاحَ ٱلْغَرِيبَةَ ٱلْجَاثِمَةَ حَوْلَ سَتَائِرِى ، فَبِمَاذَا أُكَفِئُكَ وَأَجْزِيكَ ؟»

فَقَالَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيُّ :

– « إِنَّكَ كُنْتَ جَزَيْتَنِى أَحْسَنَ ٱلْجَزَاءِ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْعَظِيمُ ، فَمَا أَنا مَنْ يَنْسَى ٱلدُّمُوعَ ٱلَّتِى سَكَبْتَهَا عِنْدَمَا سَمِعْتَ غِنَائِى لأَوَّلِ مَرَّةٍ ... إِنَّ تِلْكَ ٱلدُّمُوعَ هِىَ كُنُوزٌ مِنَ ٱلْفَرَحِ تَمْلأُ قَلْبَ ٱلْمُغَنِّى ، وَٱلآنَ نَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لِتَسْتَعِيدَ بِٱلنَّوْمِ صِحَّتَكَ وَنَشَاطَكَ ، وَسَوْفَ أُنْشِدُكَ بَعْضَ ٱلأَغَانِى ٱلرَّقِيقَةِ حَتَّى تَنَامَ .»

وَغَرَّدَ اَلْبُلْبُلُ فَنَامَ اَلْمَلِكُ نَوْماً هَادِئاً هَانِئاً عَمِيقاً .

وَلَمَّا اَسْتَيْقَظَ فِي اَلصَّبَاحِ مُمْتَلِئاً صِحَّةً وَقُوَّةً وَعَافِيةً كَانَتْ أَشِعَّةُ اَلشَّمْسِ قَدْ مَلأَتْ جَوَانِبَ غُرْفَتِهِ ، وَاَنْحَدَرَتْ إِلَيْهَا مِنَ اَلنَّافِذَةِ اَلْمَفْتُوحَةِ ، وَكَانَ اَلْبُلْبُلُ اَلْحَيُّ ، لا يَزَالُ فِي مَكَانِهِ يُغَنِّي لِلْمَلِكِ ، وَيَشْرَحُ صَدْرَهُ ، وَيُدْخِلُ عَلَى قَلْبِهِ اَلْبَهْجَةَ وَاَلسُّرُورَ ، فَقَالَ لَهُ اَلْمَلِكُ :

– « أَقِمْ مُنْذُ اَلْيَوْمِ فِي قَصْرِي ، وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنِّي ، تُغَنِّي مَتَى شِئْتَ ، وَتَسْكُتُ مَتَى أَرَدْتَ ، وَلا تَظُنَّ أَنِّي سَأُبْقِي عَلَى هذَا اَلطَّائِرِ اَلصِّنَاعِيِّ ، فَسَوْفَ أُحَطِّمُهُ وَأُقَطِعُهُ أَلْفَ قِطْعَةٍ .»

فَقَالَ اَلْبُلْبُلُ اَلْحَيُّ :

– « لا ، لا يَا مَوْلَايَ ، لا تَفْعَلْ هذَا . إِنَّ هذَا اَلطَّائِرَ اَلْمِسْكِينَ ، قَدْ قَامَ بِمَا اَسْتَطَاعَ ، فَاحْتَفِظْ بِهِ وَلا تُحَطِّمْهُ ... أَمَّا أَنَا يَامَوْلَايَ ، فَيَصْعُبُ عَلَيَّ أَنْ أَعِيشَ فِي قَصْرِكَ ، فَاَسْمَحْ لِي

أَنْ أَزُورَهُ كُلَّمَا هَزَّنِى ٱلشَّوْقُ وَٱلْحَنِينُ إِلَيْهِ ، وَأَنْ أَقِفَ فَوْقَ هذَا ٱلْغُصْنِ قُرْبَ نَافِذَتِكَ ، وَأُسْمِعَكَ ٱلْأَلْحَانَ ٱلَّتِى تَسُرُّ خَاطِرَكَ ، وَتَبْعَثُكَ عَلَى ٱلتَّفْكِيرِ فِي ٱلْحَسَنَاتِ ... سَوْفَ أُغَنِّيكَ أَغَانِىَ ٱلسُّعَدَاءِ ، وَصَيْحَاتِ ٱلتَّاعِسِينَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ، وَسَوْفَ أُنْشِدُكَ ٱلْأَنَاشِيدَ ٱلَّتِى تَجْلُو لَكَ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ ، لِتَعْرِفَ مَا يَجْرِى فِي ٱلْخَفَاءِ مِنْ حَوْلِكَ ... سَوْفَ أَتَنَقَّلُ بَيْنَ مَأْوَى ٱلصَّيَّادِ وَكُوخِ ٱلْفَلَّاحِ ، وَمَسَاكِنِ ٱلَّذِينَ يَعِيشُونَ بَعِيدِينَ مِنْكَ وَمِنْ بَلَاطِكَ ، وَأَكُونُ فِيهَا عَيْنَكَ وَأُذُنَكَ ، فَتَرَى وَتَسْمَعُ مَا يَجِبُ عَلِيكَ أَنْ تَرَاهُ وَتَسْمَعَهُ مِنْ أَحْوَالِ رَعِيَّتِكَ ... إِنِّى أُفَضِّلُ قَلْبَكَ ٱلرَّحِيمَ عَلَى تَاجِكَ ٱلْبَرَّاقِ ... سَوْفَ أَعُودُ إِلَيْكَ وَأُغَنِّيكَ ، وَلكِنَّ لِى شَرْطاً وَاحِداً أَرْجُو أَنْ تَعِدَنِى بِتَحْقِيقِهِ .»

وَكَانَ ٱلْمَلِكُ قَدْ نَهَضَ وَٱرْتَدَى مَلَابِسَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ ٱلذَّهَبِىَّ فَقَالَ : « وَما ذلِكَ ٱلشَّرْطُ ؟ » . فَقَالَ ٱلْبُلْبُلُ :

– « لا تُخْبِرْ أَحَداً أَنَّ لَدَيْكَ طَائِراً صَغِيراً يَنْقُلُ إِلَيْكَ ٱلْأَخْبَارَ وَيُطْلِعُكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . »

وَعَلَى ٱلْأَثَرِ ، طَارَ ٱلْبُلْبُلُ وَغَابَ وَرَاءَ ٱلْأَشْجَارِ .

وَدَخَلَ عِنْدَئِذٍ ٱلْخَدَمُ وَٱلْأَتْبَاعُ لِيلْقُوا ٱلنَّظْرَةَ ٱلْأَخِيرَةَ عَلَى مَلِيكِهِمُ ٱلْمُسْجَى عَلَى فِرَاشِ ٱلْمَوْتِ فَلَا تَسَلْ عَنْ دَهْشَتِهِمْ عِنْدَمَا رَأَوْا سَيِّدَهُمْ سَلِيماً مُعَافَىً ، وَسَمِعُوهُ يُحَيِّيهِمْ قَائِلاً :

– « صَبَاحَ ٱلْخَيْرِ يَا أَصْحَابِي ... »

أَسئلة فى القصة

١ – من أي شيء بنيت حيطان قصر ملك الصين وسقوفه ؟

٢ – ماذا كان صياد السمك يقول عندما يسمع صوت البلبل ؟

٣ – ماذا قال ملك الصين عن الكتاب عندما قرأ وصف البلبل ؟

٤ – أي قصاص توعد به ملك الصين رجال حاشيته إذا لم يأتوه بالبلبل ؟

٥ – من أول من حدث كبير الأمناء عن البلبل وصوته الجميل ؟

٦ – سمع رجال الحاشية وهم يبحثون عن البلبل صوتين من أصوات الحيوان ظنوهما صوت البلبل فأي حيوانين سمعوا وماذا يقال لصوت كل منهما ؟

٧ – بماذا شبه كبير الأمناء صوت البلبل عندما سمعه لأول مرة ؟

٨ – ما الهدية التي أهداها الملك للبلبل بعد سماع غنائه ؟

٩ – كم عدد الخدم الذين ألحقهم الملك بخدمة البلبل ؟

١٠ – تسلم ملك الصين في يوم من الأيام علبة بعث بها إليه أحد الملوك فمن كان ذلك الملك ؟

١١ – ماذا حدث للبلبل الصناعي عندما كان في مساء أحد الأيام يغنى وحده للملك ؟

١٢ – من رأى الملك في الليلة التي ظن أنها خاتمة حياته ؟

١٣ – أي مخلوق كان السبب في شفاء الملك ؟

١٤ – أي شرط طلب البلبل من الملك تنفيذه ؟

١٥ – اكتب هذه القصة بأسلوبك وإنشائك .

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٥٧٩٠
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-4145-8

٧ / ٩٣ / ٥٥
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)